دور المرأة في التجارة في العصر العباسي الاول

الباحثة عبير علي حسن أ.د. زبن خلف نواف
كلية التربية للبنات – جامعة الانبار

المستخلص

لقد كانت للمرأة دور ملحوظ في ممارسة التجارة خلال هذا العصر ولكنه لم يكن بمستوى دور الرجال في التجارة، حيث كان كبار رجال الدولة من الوزراء والامراء في الأصل من بيوتات تجارية مرموقة، فضلا عن ممارسة العلماء والفقهاء للتجارة بشكل كبير وهنالك أمثلة كثيرة على ذلك، وسبب ذلك يعود الى حث الإسلام على التجارة فقد مارست المرأة دور التجارة بشكل غير مباشر كما شقت طريقها في الحرف اليدوية حرفة الغزل، وكانت من أكثر الحرف التي مارستها المرأة في هذا العصر، وذلك لأنها كانت من الحرف ، وهناك نماذج كثيرة مذكورة في البحث عن النساء اللاتي كن تمتلكن من الاموال والذهب لا سيما نساء الخلفاء علي سبيل المثال لا الحصر ذكر البحث السيدة الخيزران زوجة الخليفة المهدي.

وساهمت المرأة في التجارة بالثروة الحيوانية و في تجارة الرقيق، ولهن دور في بناء الجسور والقناطر وحفر الآبار لتأمين مياه الشرب، والاعمال الخيرية و لكتابة والخط.

الكلمات المفتاحية : دور، المراة ، التجاري ، العباسي.

The commercial role of women in the first Abbasid era

Researcher Abeer H. Al.fahdaei ProfDr. Zaban K. Nawaf
College of Education for Girls – University Of Anbar
edw.zbnalhbwswy6@uoanbar.edu.iq

Abstract

Women had a noticeable role in the practice of trade during this era, but it was not at the level of the role of men in trade, as senior statesmen were ministers and princes originally from prestigious commercial houses, as well as the practice of scholars and jurists to trade largely and there are many examples of that, and the reason This is due to the urge of Islam to trade, as the woman practiced the role of trade indirectly, as she made her way in the handicraft of the yarn craft, and it was one of the most trades that women practiced in this era, because it was one of the crafts, and there are many models mentioned in the search for women who They possessed money and gold,

especially the women of the caliphs, to name a few. The research mentioned Mrs. Bamboo, wife of the Caliph al-Mahdi.

Women participated in the trade in livestock and in the slave trade, and they have a role in building bridges, arches and digging wells to secure drinking water, charitable works and writing and calligraphy.

Key words: : role, women, commercial, Abbasid.

المقدمــة

يهدف هذا البحث الى بيان دور المرأة في مجال التجارة خلال مدة زمنية تمتد لقرن من الزمن منذ تأسيس الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ وحتى نهاية العصر العباسي الاول سنة ٢٣٢هـ.

يقوم هذا البحث على إعطاء أمثلة ونماذج عن مشاركة المرأة في الحياة الاقتصادية بصورة عامة لا سيما مشاركتها في المجالات المختلفة التي تدخل ضمن اطار الممارسات التجارية لا سيما المباشرة منها او غير المباشرة، وإن غلب على المرأة مشاركتها في مجالات التجارة بصورة غير مباشرة.

ولقد كان للمرأة دور في ممارسة التجارة في العصر العباسي الأول، ولكن بصورة غير مباشرة، من خلال ممارسة بعض المهن مثل: العطارة، وكذلك الطباخة، والخبازة، وهما من ضمن الحرف التي تدخل في إطار الإتجار بالطعام.

ومن الحرف التي مارستها المرأة أيضاً كانت حرفة الغزل، وكانت من أكثر الحرف التي مارستها المرأة في هذا العصر، وذلك لأنها كانت من الحرف التي لاقت قبولاً وتشجيعاً من شرائح المجتمع المختلفة، ولما كانت لمهنة الغزل ارتباطاً مباشراً بالزراعة وتربية الماشية، فإن المرأة شاركت في هاتين المهنتين أيضاً وذلك لأن الماشية كانت توفر الصوف الذي تستخدمه في الغزل، وكذلك لمشاطرة زوجها ومساعدته في تحمل أعباء البيت، وكان كل ذلك باباً للإرتزاق أيضاً.

لم تعطي المصادر صورة واضحة عن الاوضاع الاقتصادية للمرأة، ولكن يبدو ان حياة المرأة كانت تتفاوت بحسب الطبقة الاجتماعية التي تنتمي اليها، والمرأة في الطبقة العامة كانت تلجأ إلى ممارسة هذه المهن بسبب ضنك العيش الذي كان يصيبها، في الوقت الذي كان يعيش فيه نساء الطبقات الاخرى من الاغنياء والحكام في ترف، لذا لم يلجأ النساء هذه

الطبقات العليا الى ممارسة هذه الحرف والمهن التي كانت تمارسها نساء الطبقات الفقيرة او العامة.

كان للتجار مكانة اجتماعية متميزة في العصر العباسي الأول؛ إذ يتمتع التاجر بمركز اجتماعي مرموق[١] وذلك لأن كثيرين من رجالات الدولة وكبار موظفيها كالوزراء كانوا من بيوتات ذات اصول تجارية وخاصة في عهد المعتصم بالله (٢٢١٨- ٢٢٧هـ)[٢] كالوزير محمد بن عبدالملك الزيات فقد كان ابوه تاجراً من التجار الموسرين[٣] وقد رفع من المنزلية الاجتماعية للتجار ان كثيرين من الفقهاء والعلماء في العصر العباسي الأول عملوا بالتجارة[٤].

ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر الفقيه العالم عبدالله بن المبارك(١٨١هـ) وهو من كبار التجار وذوي رأس مال كبير[٥] وكذلك العالم والمحدث اسماعيل بن علية المتوفي سنة (١٩٣هـ/ ٨٠٨م) وأحمد بن أبي داود المتوفي سنة(٣٤٠هـ/ ٨٥٤م) الذي كان تاجراً[٦] وعلماء كبار اخرون اشتغلوا بتجارة مختلف البضائع؛ ولكن رغم ذلك فقد كانت منزلتهم الاجتماعية أقل مما كان للأشراف والاعيان[٧] فعندما اراد يحيى البرمكي العمل بالتجارة نصحه أحد شيوخ التجار بالابتعاد عنها لأنها تُسيء الى منزلته الاجتماعية[٨]

كان للمرأة دور غير مباشر في النشاط التجاري في العصر العباسي الأول؛ وذلك من خلال ممارسة الحرف[٩] إذ اسهمت الحرفيات بدور كبير في النشاط التجاري ومن أهم الحرف التي زاولتها المرأة في ذلك العصر حرفة العطارة منهن جمرة العطارة والتي كانت مسؤولة عن خزانة الجواهر في عهد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور(١٣٦ ـ ١٥٨ هـ) واستمرت في عملها ذلك حتى عهد الخليفة العباسي محمد الأمين (١٩٣ ـ ١٩٨هـ)[١٠] فضلاً عن بنان العطارة التي اشتهرت بند هو ضرب من الطيب يدخن به[١١] كانت تصنعه للخليفة العباسي الواثق بالله (٢٢٧ـ ٢٣٢هـ)[١٢]

وصنعت ند اخر للخليفة العباسي المتوكل على الله (٢٣٢ . ٢٤٧هـ)[١٣] وهناك اشارة الى ان بعض النساء كن يبيعن عطرهن لنساء العامة وهن يدرن على المنازل ويعرضن بضاعتهن للنساء داخلها[١٤] ومن النساء التي زاولت مهنة الطباخة والتي تدخل من ضمن مهنة الاتجار وهي من اختصاص المرأة كما يشير ابن بطلان[١٥] الى المواصفات المثالية

للطباخة بقوله(عُمدة الطبيخ على طيب المرق وجودة المزاج، فان اتفق للطباخة مع هذا جودة الصنعة وسرعة العمل فذلك غاية الأمل).

واستفادت النساء من ممارسة حرفة الخبازة من ضمن الحرف التي تدخل في نطاق الإتجار بالطعام[١٦] ذكر ابن الجوزي[١٧] ان قوم في بغداد كانوا يمتلكون الاموال بمحلة الأُزج[١٨] لهم خبازة تخبز لهم بأجر، كما كان هناك خبازة تعرف بمهرة كانت تبيع البهط وهي كلمة سندية تعني الأرز الذي يطبخ باللبن والسمن[١٩] في السوق وهي تقف تحت مظلة لها مصنوعة من الخوص ومن الحرف التي مارستها المرأة في العصر العباسي الأول والتي لم تكن وليدة هذا العصر بل سبقهن في ذلك النساء في عصر الرسالة والعصر الراشدي والأموي[٢٠]

وهي حرفة الغزالة من اكثر الحرف التي مارستها المرأة في العصر العباسي الأول؛ وذلك لأنها من الحرف التي لاقت القبول والتشجيع من جميع شرائح المجتمع[٢١] إذ ان بعض أولئك الغزّالات كن يتولين بيع غزلهن بأنفسهن، فيما اعتمدت غزّالات اخريات على ازواجهن أو ابائهن للقيام ببيع غزلهن[٢٢] وقد كان من بين الغزّالات من تراعي ضوابط الشرع الإسلامي في عملها وتتورع أن يدخل في كسبها شيء يأبها الشرع[٢٣] ويبتعدن عن الغش والتدليس في غزلهن فمثلاً يعمدن الى " التدليس في القطن بدق الخشن منه ليتوهم انه ناعم" [٢٤] .

وتعد هذه المهنة من المهن المريحة على مر العصور وخاصة العصر العباسي الأول فقد جاء رجل الى الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور يطلب المعونة لكثرة عياله من البنات لكن المنصور[٢٥] لم يعطه اية مساعدة لأن لديه اربع بنات يعملن بالغزل وهذا بالطبع يدر عليه كثيراً من المال وتعتبر مهنة الغزل من المهن التي يشجع علماء الدين عليها ويعتبرونها من لزوم آداب المرأة ملازمتها مغزلها، وعد العلماء ايضاً الغزل من المهن التي تعد ارباحاً حلالاً يجوز للمرأة ان تحج إذا شاءت [٢٦] وترتبط مهنة الغزل بتربية الماشية وهي ايضاً فعالية اقتصادية قائمة بذاتها لتسفيد من وبر الماشية وبيعه لمن هو يقومون بالغزل[٢٧]

وقد إسهام المرأة في مهنة الزراعة وتربية الماشية له وجهين احدهما بهدف مشاطرة رب الاسرة العمل ومعاونته في ذلك والآخر انها أرادت من ذلك الارتزاق، كانت تعمل بأجر تبيع وتشتري في المحاصيل الزراعية ومن الماشية خاصة إذ لم يكن لديها عائل، كما ان غزل الصوف والوبر من الاعمال التي لا يحبذ المجتمع العربي ان يقوم فيها الرجال إذ انه لا تليق

به فتقوم بذلك المرأة[٢٨] إلا أن المستوى الاقتصادي للمرأة في العصر العباسي الأول متفاوت حسب الطبقة التي تنتمي إليها بيد ان المصادر لم تعطي صورة عن وضعيتها الاقتصادية للمرأة عند العامة والدوافع التي جعلتها تلجأ الى العمل[٢٩] لقد عانت المرأة عند العامة من ضنك الحياة الاقتصادية بالرغم من تدفق الخيرات والاموال من جميع الآفاق على الدولة العباسية على الرغم من حياة الترف التي كان يعيشها أصحاب الطبقة الحاكمة والأغنياء[٣٠]

واشتهرت النساء في العصر العباسي الأول بجودة منتوجاتهن من الغزل والنسيج واشبه ما يكون بالعلامة التجارية المميزة وتعرف الثياب التي يغزلنها[٣١] ومنها التكك و الابريسم[٣٢] الخضراء التي اشتهرت في الافاق وانها من عمل جواري بغداد[٣٣] وتمتعت بعض المنسوجات المنسوبة للجواري بسمعة تجارية جيدة في اسواق المدينة المنورة نظراً لما تتمتع به من اتقان وجودة في عملها[٣٤] ويمكن الاستدلال على ذلك بسؤال مضغته أخت الزاهد المعروف ببشر الحافي(ت٢٢٧هـ/٨٤١م)[٣٥]

ان دور المرأة الاقتصادي في عهد الخليفة هارون الرشيد(١٧٠هـ/ ١٩٣هـ) لا يقل أهمية عن دورها في عهدي المهدي والهادي فقد امتاز عهد هارون الرشيد بالرخاء وتدفق الاموال وهذا جعل نساء عصر الرشيد يملكن كثيراً من الاموال والجواهر[٣٦] ولعل من ابرز النساء اللاتي ظهرن في العصر العباسي الأول ذات شهرة واملاك السيدة الخيزران[٣٧] إذ كانت من أغنى نساء عصرها في عهد زوجها وولديها الهادي والرشيد ولذلك أخذت في حشد الاموال لنفسها حتى بلغت غلتها من الضياع التي تملكها في العام يبلغ الف الف وستين الف درهم[٣٨] .

وان الخيزران عرف انها اشتهرت بالإنفاق بالرغم من ان زوجها المهدي اتبع خطى المنصور في الاقلال من النفقات وذلك ضمن سياسة ترسيخ قواعد الدولة [٣٩] إلا انها قسمت اموالا طائلة على الفقراء والمحتاجين؛ كما انها قسمت اموالاً كثير على نفر من قريش والأنصار والاعيان وقد يكون هذا الإنفاق من باب التقرب الى هؤلاء خشية الفتن والثورات[٤٠] وانها قامت بالإنفاق على تزويج كثير من الايتام الذين لا يجدون الأموال التي تعينهم على نفقات الزواج؛ لم تكتفي بذلك بل أعطت كل قبيلة مبالغ معينة من المال تستعين به على امور حياتها[٤١] ، وذكر انها كانت تزين جلابيبها بالذهب والفضة وترصع خفافها بالجواهر ومع العنبر[٤٢] .

وانها عندما حجت تصدقت بأموال كثيرة وقسمت على نساء مكة آنية من الذهب والفضة مملؤة من أنواع الطيب، كما أنها قسمت على النساء ايضاً كثيراً من الملابس والجواهر[٤٣] وانها تمتلك كثيراً من الضياع والتي من كثرتها عينت لها وكيلاً خاصاً ليصرف أمورها ولم تكتفِ بذلك بل كان لها كاتب خاص يمر على وكلائها لمحاسبتهم في الأمور المالية حتى انه حبس أحد الوكلاء لحسابه عن ضياع وجدت عليه[٤٤] كما مارست المرأة التجارة بالمحاصيل الزراعية والنباتات الطبيعية؛ لذلك من الطبيعي ان يكون لأولئك النسوة دور تجاري يتمثل ببيع ما تنتجه أراضيهن ومما يؤكد ذلك أن السيدة شغب [٤٥] كان لها مخازن خاصة بها لخزن الحنطة والشعير وكانت تعمد الى اتباع اسلوب الاحتكار لترفع من ثمن اسعار الحنطة والشعير في بغداد[٤٦] كما كان للسيدة شغب أوقاف كثيرة على أبواب البر والقربات بمكة المكرمة والمدينة المنورة[٤٧] فالمرآة في العصر العباسي الأول استغلت دورها الاقتصادي بتوجيه الرجل في نشر الأمن والاستقرار وان زوجات رجال الدولة وغيرهم كان لهن دور لا يستهان به، إذ اشتركن في شراء مراكب حتى يتغلبوا على خور عظيم يبتلع السفن؛ هذا الخور كان على ركن من الأبل في دجلة كلما تمر سفينة لا تسلم من الغرق وبعد شراء السفن تمت السيطرة على تجارة هؤلاء النسوة ولم تتعرض أي سفينة للغرق[٤٨].

ومن إسهامات المرأة التجارية بالثروة الحيوانية أنها كانت تستفاد من تجارة المواشي والأصواف والبانها[٤٩] إذ كان للسيدة زبيدة(٢١٦هـ/ ٨٣١م) زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م) وكيل يُعرف بمرزبان المجوسي[٥٠] كان قد تاجر لها بثلاثين الف درهم اشترى بهن جمالاً من رجل من اهل خرسان[٥١] وان نساء جدة كن يبعن اللبن وكانت هناك نساء في منطقة الثعلبية[٥٢] سوق تباع فيها الجمال والكباش والسمن واللبن وعلف الأبل كان يحضرها جمع كبير من العرب للإتجار رجالاً ونساء[٥٣].

وكان للنساء دور في تجارة الرقيق ومن ثم تعليمهم ضروب الشعر والغناء مما يزيد في أسعارهم ويمكن مالكاتهن من بيعهم بأسعار أعلى كما حصل للمغنى مخارق(ت٢٣١هـ/ ٨٤٥م) الذي كان مملوكاً للمغنية عاتكة بنت شهدة[٥٤] وكانت قد قامت بتعليمه الغناء والضرب على العود ثم باعته[٥٥] وان الحصول على الرقيق كان من ثلاثة مصادر الأول منها الحرب فإذا تمكن المسلمون من فتح بلدة عنوة جاز لهم ان يسترقوا سكانها[٥٦] أما

المصدر الثاني فإن بعض الأقاليم كانت ترسل الرقيق الى دار الخلافة في بغداد كجزء من واردات الضرائب فيما كانت التجارة تمثل المصدر الثالث[٥٧].

وكان في مصر سوق خاص بالرقيق يعرف بسوق الرقيق[٥٨] وكل جنس من اجناس الرقيق يتميز بصفات معينة تميزه عن غيره يجب على المشتري الاطلاع عليها ليعرف أي جنس من الرقيق يناسب حاجته وهناك فرق بين سعر الجارية التي تجيد عملاً معيناً كالغناء وبين سعر الجارية التي لا تجيده فقد قدر سعر جارية مغنية بثلاثين الف دينار قياساً بتقدير سعر جارية لا تجيده لا تساوي أكثر من عشرين دينار[٥٩] كما كانت من المغنيات المعروفة بشارية[٦٠] جارية بصرية اشترتها امرأة من بني هاشم فأدبتها وعلمتها الغناء لإبراهيم بن المهدي(٢٢٤هـ / ٨٣٩م)[٦١].

وفي بغداد كانت محلة تعرف بشارع دار الرقيق وهي ناحية على دجلة كان يباع فيها الرقيق[٦٢] وكانت المكاتبة أحدى الطرق التي لجأت اليها بعض النسوة لاستثمار رقيقهن، فعندما كان المكاتب يقوم بتسديد ما اتفق عليه في المكاتبة من أموال مع مالكته كان يحصل على حريته كما حصل مع ابو معشر نجيح بن عبدالرحمن السندي المدني(١٧٠هـ/ ٧٨٦م)[٦٣] والذي كان مملوكاً لامرأة مخزومية فكاتبها ولما أدى ما عليه من اموال المكاتبة اعتقته[٦٤] وهناك من الحرف التي حرمها الإسلام والتي أسهمت بدور ملحوظ في النشاط التجاري، علماً أن مزاولة تلك الحرفة كان مصحوباً بأهل الذمة[٦٥] وأن هؤلاء الخمارات كن يبعن خمرهن بالنسيئة[٦٦] ومما يدل على ذلك الشاعر أبو حية النميري(ت٢١٠هـ/ ٨٢٥م) كان قد اشترى من خمارة بالحيرة خمراً ولم يكن معه ما يدفعه لها فاتفقا على أن تبيعه الخمر نسيئة؛ وكانت كلما اسقته خطت خطاً في الحائط لتعرف مقدار ما شربه [٦٧] وان بعض الخمارات يعمدن الى رهن ثياب من يعجز عن إداء ثمن ما ربه كما حصل للشاعر أبو نؤاس(ت١٩٩هـ/ ٨١٤م) والذي كانت ثيابه مرهونة عند خمارة بستمائة درهم ولم ترجع الخمارة اليه ثيابه الا بعد أن استلمت ما بذمته لها[٦٨].

تمكنت المرأة بالإسهام الغير مبار؛ وذلك من خلال ما انفقته من أموال في بناء الجسور والقناطر وحفر الآبار والعيون لتأمين مياه الشرب للمسافرين زمنهم التجار بطبيعة الحال وكل ذلك أسهم في تفعيل النشاط التجاري وتنقل التجار والبضائع من مكان لآخر[٦٩] ومن ذلك ما قامت به السيدة زبيدة زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد(والتي كان لها من

الآثار الجميلة التي ليس في الإسلام مثلها)؛ فإنها حفرت عين المشاش[٧٠] وساقتها اثنى عشر ميلاً الى مكة، وانفقت في الإسلام مثلها واتخذت السقايات والمتوضئات والمصانع، وحفرت آبار في منى على طريق مكة، ووقفت على ذلك ضياعاً غلتها ثلاثون الف دينار في السنة[٧١]

وذكر ابن جبير[٧٢] الدور الكبير الذي اسهمت به السيدة زبيدة في تسهيل عملية الحج لقاصدي بيت الله الحرام وذلك في قوله " وهذه المصانع والبرك والآبار والمنازل التي من بغداد الى مكة هي آثار زبيدة... ولولا آثارها الكريمة في ذلك لما سلكت هذه الطريق والله كفيل بمجازاتها والرضا عنها"، ومما يؤكد أن السيدة زبيدة كانت تهتم بهذه المنشآت والإشراف عليها، أنها وفرت كل ما يسهل عملية الاتصال بالمناطق البعيدة فلذلك هي أول من أتخذ الشاكرية من الخدم والجواري يختلفون على الدواب في نواحيها ويذهبون في حوائجها برسائلها وكتبها[٧٣] لم تتوقف عند إرسال الكتب والرسائل عن طريق الدواب بل اهتمت بهذه الوسيلة حتى تتمكن من سرعة إنجاز عملها[٧٤] .

كما انها أمرت الرحالين الذين يقودون هذه الدواب أن يزيدوا في سير البختية[٧٥] وعرف عنها كثرة الإنفاق في مواسم الحج فقد قيل أنها أعطت في حجة واحدة مليوني دينار[٧٦] ونفذت كثير من المشروعات الإصلاحية التي انتفع بها كثيرون منها سق أهل مكة الماء بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار[٧٧] إذ ادركت ما يعانيه أهلها من مشاق للحصول على الماء فأمرت خازن أموالها وكيلها بإحضار المهندسين والعمال بتوصيل الماء الى مكة مهما كلف الأمر؛ فأخذوا يصلون بين منابع الماء في الجبال حتى وصل الى مكة[٧٨] .

وأنها قامت بإنشاء الكثير من البرك والآبار التي تنسب إليها مثل العبابة[٧٩] وبركة أم مقعد وهي في طريق مكة بين المغيثة والعذيب والقنيعة[٨٠] كذلك كان لها الفضل في تحديد معالم الطريق بالأميال ليعرف الحجاج المسافات التي قطعوها[٨١] وشجعت السيدة زبيدة رجالات الدولة بالإنعام على العلماء والأطباء فقد خصصت لهم مبالغ من المال فعلى سبيل المثال للطبيب المشهور جبرائيل بن بخشتيوع[٨٢] راتباً شهرياً قدره خمسون الف درهم وللمغنين والقضاة والشعراء راتباً شهرياً[٨٣].

ومن المهن التي مارستها النساء وكانت تحصل على المال الكتابة والخط ولا شك ان عدد هؤلاء الكاتبات كان قليلاً، لأن طبيعة المجتمع اقتضت ذلك فلم تكن هناك مدارس

يترددن عليها وبالتالي لم تكن ثمة حاجة ان تتعلم النساء القراءة والكتابة[٨٤] لكن ضروب الزينة التي جاءت بها الوافدات من الجواري مثل الكتابة على العصائب والملابس والمناديل والأدوات كلها تتطلب وجود مثل هؤلاء الخطاطات والكاتبات؛ ومما يؤكد أن هؤلاء عملن بمهنة الخط والكتابة أن اعجب كثير من الخلفاء بخطهن فقد أُعجب المأمون بخط أحدى الجواري عندما رآها تخط خطاً حسناً[٨٥] ولم ينتهي دور المرأة عند هذا الحد بل انها دخلت في مجالات وحرف أخرى غير التجارة منها أعمال التزيين و الحجامة وغيرها[٨٦].

النتائج

لقد توصل البحث الى عدة نتائج مهمة عن دور المرأة ومدى مشاركتها في الحياة الاقتصادية خلال العصر العباسي الاول (١٣٢-٢٣٢هـ/ ٧٥٠-٨٤٧م)، والممتدة على مدة قرن من الزمن، ويمكن إجمال أبرز تلك النتائج فيما يأتي:

ظهر من خلال هذه الدراسة انه كانت للمرأة دور ملحوظ في ممارسة التجارة خلال هذا العصر ولكنه لم يكن بمستوى دور الرجال في التجارة. وكان للمرأة دور في ممارسة التجارة في العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ/ ٧٥٠-٨٤٧م)، ولكن بصورة غير مباشرة، من خلال ممارسة بعض المهن مثل: العطارة، وكذلك الطباخة، والخبازة وغيرها من المهن التي لها تماس مباشر بطبيعة المرأة، كما لم تعطي المصادر صورة واضحة عن الاوضاع الاقتصادية للمرأة، ولكن يبدو ان حياة المرأة كانت تتفاوت بحسب الطبقة الاجتماعية التي تنتمي اليها، ولم تلجأ النساء من الطبقات العليا في المجتمع الى ممارسة الحرف والمهن التي كانت تمارسها نساء الطبقات الفقيرة او العامة كما ساهمت المرأة من الطبقة العامة في التجارة بالثروة الحيوانية، فقد كانت تستفاد من اصوافها والبانها، وكان لها دور في تجارة الرقيق، وأخيراً ظهرت في العصر العباسي الأول كاتبات وخطاطات من النساء، ولكن يبدو ان اعدادهن كان قليلاً، بالمقارنة مع اعداد الرجال.

الاحالات

(١) ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا،(٧٠١هـ/ ١٣٠٥م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية،(بلا. ط، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م)، ١٧١؛ سوسة، احمد، الشريف في الجغرافية ، نشر نقابة المهندسين، بغداد، ١٩٧٤م)، ص١٠٥.

(٢) الاصفهاني حسن بن عبدالله الاغاني تح : لجنة الادباء بلا ، ط دار الثقافة بيروت د ، ت جزء ٢٢ ص ٤٦٣

السامر فيصل، نهضة التجار العربية في العصور الوسطى، مجلة المؤرخ العربي، العدد(١٧)، ص٦٢.

(٣) السامر فيصل، نهضة التجار العربية في العصور الوسطى، مجلة المؤرخ العربي، العدد(١٧)، ص٦٢.

(٤) ابن كثير اسماعيل بن عمر القرشي ابو الفداء الدمشقي ت ٧٤٧ هـ /١٣٧٢ م البداية والنهاية ، ط ١ مطبعة المعارف بيروت د ت جزء ١ صفحة ١٧٧

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص١٧٧.

(٦) المصدر نفسه، ج١٠، ص٢٢٤.

(٧) سوسة، الشريف الاديسي، ص١٠٢.

(٨) الجهشياري، ابو عبدالله محمد بن عبدوس(ت٣٣١هـ/ ٩٤٢م)، الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، (ط١، مطبعة الحلبي البابي، القاهرة، ١٩٣٨م)، ص١٨٦.

(٩) الطبري ابو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م تاريخ الرسل والملوك تح : نخبة من العلماء الاجلاء ط٢ مطبعة الاستقامة مصر ١٩٣٩ م جزء ١ ص ٥٢١

(١٠) الطبري، تاريخ الطبري،ج٤، ص٥٤١.

(١١) ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م لسان العرب ط١ دار الاحياء التراث العربي بيروت ١٩٨٤ م ج١ ص٦١٦

(١٢) النويري، أحمد بن عبدالوهاب، نهاية الإرب في فنون الأدب، (بلا. ط، القاهرة، المؤسسة المصرية، د.ت)، ج١٢، ص٦٢ـ ٦٣.

(١٣) النويري، نهاية الإرب، ج١٢، ص٦٣.

(١٤) ابن قيم الجوزية ابو عبدالله شمس الدين محمد بن ابي بكر الزرعي الدمشقي الحنبلي ت٧٥١ هـ اخبار النساء مطابع دار الشؤون العامة بغداد ١٩٨٩ ص ١٧٦

(١٥) ابن بطلان، المختار بن الحسن بن عبدون(ت ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م)، (رسالة جامعة لفنون نافعة في شري الرقيق وتقليب العبيد، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ضمن نوادر المخطوطات، المجموعة الرابعة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م)، ص٤١٧.

(١٦) الانطاكي، داود بن عمر، تزيين الاسواق في اخبار العشاق،(ط١، دار صادر، بيروت،١٩٧٢)،ج٢، ص٣٧٣.

(١٧) المنتظم، ج١٧، ص٣٢٤.

(١٨) ياقوت الحموي شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله ت٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨ م معجم البلدان تح محمد عبدالرحمن المرعشلي بلا ط دار الاحياء العربي بيروت دت ج ١ صفحة ١٣٩

(١٩) الخوارزمي، محمد بن احمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، (بلا. ط، مطبعة الشرق، مصر، ١٣٤٢هـ)، ص١٠٠.

(٢٠) الطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص٥٢١.

(٢١) السنجري، احمد ميسر محمود، نشاط المرأة الحرفي والوظيفي في المشرق الإسلامي(١٣٢- ٦٥٦هـ)، اطروحة دكتوراة غير مباشرة، كلية التربية، الموصل، ٢٠٠٩، ص٣٨.

(٢٢) الاصبهاني ابو نعيم احمد بن عبدالله ت ٤٣٠ هـ حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ط ١ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٨ ج ٣ ، ص ١٥- ١٧

(٢٣) التنوخي ابو علي المحسن بن علي ت ٣٨٤ هـ المستجاد من فعلات الاجواد تح محمد كرم علي بلا ط مطبعة الدقي دمشق ١٩٤٦ م ج ٢ ص ٢٣٣ - ٢٣٩

(٢٤)،ابن الجوزي، احكام النساء، ص٩٣.

(٢٥) السيوطي، المستظرف من اخبار الجواري، (بلا. ط، نشر صلاح الدين عبدالمجيد، القاهرة، ١٩٥٢)، ص٧١.

(٢٦) الغزالي ابو حامد بن محمد ت٥٠٥ هـ احياء علوم الدين بلا ط مكتبة عبد الوكيل الدري دمشق دت ص ٧٥

(٢٧) حسن ابراهيم، تاريخ الإسلام، ج١، ص٣٠٥.

(٢٨) شاكر مصطفى، دولة بني العباس، بلا. ط، بلا. مكان، الكويت، ١٩٧٣م)، ج١، ص٥٩٤.

(٢٩) محمود حسن احمد العالم الاسلامي في العصر العباسي ط١ دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٧ ص٧٣٨

(٣٠) الصالح صبحي، النظم الاسلامية نشأتها وتطورها، (بلا. ط، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠)، ص٣٨٨-٣٣٩.

(٣١) الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان،(ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تأريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، (بلا. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥)، ج٦ن ص٣٨٣.

(٣٢) الابريسم: كان المسلمون يطلقون على الحرير قبل غزله كلمة(قز) فإذا ما غزل سموه(بريسم) وعندما يخلط مع الصوف يسمى (خز)، وإذا ماصبغ الابريسم بالالوان سمي عند ذلك بـ(الحرير)، فريال داؤد، المختار، المنسوجات العراقية الاسلامية من الفتح العربي الى سقوط الخلافة العباسية،(دار الحرية، بغداد، ١٩٧٦م)ن ص٣٨.

(٣٣) التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، الرسالة البغدادية، تحقيق: عبود الشالجي، (منشورات الجمل، المانيا، ١٩٩٧م) ص١٩٨.

(٣٤) الاصبحي مالك بن انس ت ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م المدونة الكبرى بلا ط مطبعة السعادة القاهرة ١٣٣٢ م ج ١٠ ص ٣٠٩

(٣٥) الصفدي صلاح الدين ابو الصفاء خليل بن ايدك بن عبدالله ت٦٩٦ هـ الوافي بالوفيات دار الطباعة بيروت ١٩٦٨ م ج ١ ص ١٤٧-١٤٨

(٣٦) السيوطي، المستظرف، ص٥٤.

(٣٧) الخيزران: هي جارية يمانية بنت جرس، قيل ان المهدي اتراها بمائة الف درهم، ثم تزوجها ولدت له ولدين هما الخليفتين هما الهادي وهارون الرشيد كان المهدي يبلي رباتها بتحقيق طلباتها فكانت لها الكلمة النافذة في بغداد فكانت تأمر وتنهي حتى علم الناس منزلتها عند زوجها، فأكثروا من الوقوف عند بابها ليسألوها قضاء حوائجهم هذا الامر الذي ينهاها عنه الهادي بعد تولي الخلافة، السيوطي، المستظرف، ص٧٤.

(٣٨) شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، (بلا. ط، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦) ص٤٥-٤٦.

(٣٩) ابن الاثير ابو الحسن علي بن محمد الجرزي ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م الكامل في التأريخ ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٦٨ ج ٥ ص ٤٤.

(٤٠) ابن طيفور، تاريخ بغداد، ص١٦٤.

(٤١) مؤلف مجهول العيون والحدائق في اخبار الحقائق من خلافة الوليد بن عبدالملك الى خلافة المعتصم نشر ديه غويه مطبعة بيرل ١٨٧١ م ج٣ ص٧٩١.

(٤٢) المسعودي ابو الحسن بن علي بن الحسين بن علي ت٣٤٥ هـ مروج الذهب ومعادن الجوهر تح يوسف اسعد داغر ط ٤ دار الاندلس بيروت ١٩٨١ ج٤ ص ٣١٧-٣١٨.

(٤٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨،ص٣٤٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص١٥٤، ١٥٥.

(٤٤) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص١٦٥.

(٤٥) شغب: هي ام الخليفة المقتدر بالله جعفر كان متحصلها في السنة الف الف دينار فتتصدق بها وتخرج من عندها مثلها؛ وكانت صالحة ولما قتل ابنها كانت مريضة فقوى المرض وامتنعت من الاكل حتى كادت تهلك، ابن تغرى بردي، يوسف عبدالله الظاهري(ت٨٧٤هـ) النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة، (بلا. ط، دار الكتب، مصر) ج٣، ص٢٣٩.

(٤٦) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٥٠٣.

(٤٧) المصدر نفسه، ج٧، ص٧٦.

(٤٨) ابن حوقل ابو القاسم محمد بن علي النصيبي ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م صورة الارض ط٢ مطبعة بريل ليدن ١٩٣٨ م ص ٢١٣

(٤٩) ابن طيفور، بلاغات النساء، ص١٠٦.

(٥٠) المرزبان: بفتح الراء الساكن وضم الزاي والجمع مرازبة وهو الرئيس من الفرس ومعناه بالعربية حافظ الحد وعند العجم لا تطلق الا على الرجل العظيم القدر، الجواليقي، ابو منصور موهوب بن احمد (ت

٥٣٩هـ/ ١١٤٤م)، المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم، تحقيق وشرح: ابو الاشبال احمد محمد شاكر، (ط، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٢)، ص٣٦٥.

(٥١) ابن الجوزي، المصباح المضيء في خلافة المستضيء، تحقيق: ناجية عبدالله ابراهيم،(بلا. ط، مطبعة الأوقاف، بغداد، ١٩٧٦م) ج١، ص٤٦٣- ٤٦٧.

(٥٢)الثعلبية: من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق قبل الخزيمية سميت بثعلبة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء لما تفرقت ازد مأرب لحق ثعلبة بهذا الموضع فأقام به فسمى به، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١١.

(٥٣) الكناني، محمد بن احمد، رحلة ابن جبير،(بلا. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣)، ص٦٢.

(٥٤) عاتكة بنت شهدة: من شهيرات المغنيات في العصر العباسي، قال عنها اسحاق الموصلي انها احسن خلق الله للغناء واضربهم للعود، توفيت بالبصرة، الاصفهاني، الاغاني، ج٦، ص١١٨.

(٥٥) الاصفهاني، الاغاني، ج٦، ص١١٩.

(٥٦) الدوري، عبدالعزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩م)، ص٨٨.

(٥٧) الدوري، عبدالعزيز، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٨٩.

(٥٨) المقريزي، احمد بن علي بن عبدالقادر(ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية، (بلا. ط، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٨م)، ج١، ص١٩٦.

(٥٩) ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن الخطاب، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، (دار التقوى، ٢٠٠٠)، ص٦٥.

(٦٠) شارية: من شهيرات المغنيات في العصر العباسي الأول، كانت مولدة من مولدات البصرة اشترتها امرأة من بني هاشم ثم اشتراها ابراهيم بن المهدي وبقيت في مكة حتى توفي كانت احسن مغنية منذ توفي المعتصم، الاصفهاني، الاغاني، ج١٤، ص٢٤٦- ٢٥٥.

(٦١) المصدر السابق، ج١٤، ص٢٤٦.

(٦٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣،ص١٣٣.

(٦٣) ابو معشر نجيح بن عبدالرحمن السندي المدني وكان مكاتباً لامرأة من بني مخزوم فادى وعتق وكان أماماً مجوداً بارعاً له كتب في القراءات صدوقاً ولكنه لا يقيم الاسانيد، الذهبي، العبر في خبر من غبر، تح: ابو هاجر محمد سعيد، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت)، ج١، ص١٩٩.

(٦٤) الذهبي، تذكرة الحفاظ، بلا. ط، دار الاحياء العربي، (بيروت، ١٩٥٨م)، ج١، ص٢٣٥،٢٣٤.

(٦٥) الجاحظ، البيان والتبيان،(بلا. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣)،ج١،ص٧١؛ ابراهيم بن القاسم، الرقيق النديم، قطب السرور في اوصاف الخمور، تحقيق: احمد الجندي،(مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٦٩م)،ص٤١٠.

(٦٦) النسيئة: نسا الشيء نسأ، باعه بتأخير والاسم النسيئة وانساه الدين والبيع اخره به اي جعله مؤخراً، ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٥٢٨.

(٦٧) الاصفهاني، الاغاني، ج١٥،ص١٤٦.

(٦٨) اليافعي، عبدالله بن اسعد بن علي، (ت٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧٠م)، ج١، ٤٤٩.

(٦٩) المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص١٥٦.

(٧٠) المشاش : بالضم ماء يجري بعرفات ويتصل الى مكة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤،ص٢٦٨.

(٧١) اليعقوبي احمد بن اسحاق بن جعفر بن واضح ت ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م مشاكلة الناس لزمانهم ط١ دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٢ م ص٢٦

(٧٢) رحلة ابن جبير، ص١٦٢- ١٦٣.

(٧٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٧٦.

(٧٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣١٧.

(٧٥) الفيروزي ابادي مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م القاموس المحيط بلا ط دار الفكر بيروت ١٩٨٣ ج١ ص١٣٥

(٧٦) ابن تغرى بردي يوسف عبدالله الظاهري ت٨٧٤ هـ النجوم الزاهره في اخبار ملوك مصر والقاهرة بلا ط دار الكتب مصر ١٩٩٦ ج٢ ص ٢١٤.

(٧٧) الراوية: هي الغربة الصغيرة التي تستخدم في السقي لنقل الماء، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٣، ص٤٢٧.

(٧٨) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣١٧.

(٧٩) العبابة: وهي بركة بين المغيثة والعذيب وبها قصر ومسجد قامت زبيدة بتعميرها ومن الآبار التي ينتسب إليها الحسنى وهو بئر على ستة أميال من قروري قرب معدن النقرة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٦٠.

(٨٠) المصدر السابق، ج٤، ص١٥٩، ٤١٠.

(٨١) عبدالمنعم عبدالجواد ماجد العصر العباسي الاول التأريخ السياسي مكتبة الانجلو المصرية ١٩٨٤ م ص٢١٤.

(٨٢) جبرائيل بن بخشتيوع: هو بن جرجس ومعنى بخشتيوع عبد المسيح وهذا اللفظ سرياني الاصل مستعرب قربه الخلفاء العباسيون هو وابوه ولاسيما المتوكل العباسي وهم أطباء الخلفاء وكانوا مشهورين، اليعقوبي، البلدان، ص٦٢.

(٨٣) ابن طيفور، بغداد في تاريخ الخلافة، (بلا. ط، بلا مكان، بيروت، ١٩٦٨م)، ص١٦٣.

(٨٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٤،ص١٢٥.

(٨٥) السيوطي جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م تاريخ الخلفاء ط١ دار الندوة بيروت دت ص٣٥٠.

(٨٦) ابن عبد ربه ابو عمر احمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠م) العقد الفريد تح محمد سعيد العريان ط٢ دار الفكر القاهرة ١٩٢٨ م ج٤ ص١٩٨.